مجلة أبعاد مجلد 12، العدد 01 (خ)، 2025
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

العلاجات المستخدمة في زاوية سيدي بن عمر
الطب البديل بين التمثلات والممارسات -مقاربة أنثروبولوجية

Treatments used in Sidi Ben Omar corner
Alternative medicine between representations and practices
- an anthropological

جلطي سارة Djelti Sara *
أنثروبولوجيا
جامعة وهران 2 – محمد بن أحمد– (الجزائر)
وحدة البحث في علوم الانسان للدراسات الفلسفيّة، الاجتماعيّة والانسانيّة بجامعة وهران2
saradjelti49@gmail.com

سويح مهدي Souiah Mehdi
أنثروبولوجيا حضرية
جامعة وهران2 – محمد بن أحمد – (الجزائر)
souiah.mehdi@univ- oran2.dz

****

تاريخ الإرسال: 2025-01-29 | تاريخ القبول:2025-05-08 | تاريخ النشر: 2025-05-17

ملخص:

تمثّل هذه الدّراسة المونوغرافيّة لمحة عن تأثيرات الزاوية من منطق مفهوماتي في المجتمع الجزائري ممّا تحمله من دلالات ذات جذور أنثروبولوجيّة، مع التحديات الّتي تواجهها في ظل الحداثة باعتبارها أحد الوسائل الرائدة في الطب البديل الّتي كانت أحد أهمّ منابعه في زاوية سيدي بن عمر بتلمسان.

الكلمات المفتاحية: الزاوية؛ زاوية سيدي بن عمر؛ الطب البديل؛ الطب التقليدي؛ الحكمة؛ التمثلات.

Abstract:

This monographic study provides an overview of the influences of the Zawiya from a conceptual perspective within Algerian society, highlighting its anthropological connotations and the challenges it faces in the context of modernity. It is considered one of the pioneering means of alternative medicine, with Zawiya Sidi Ben Omar in Tlemcen being one of its most significant sources.

Keywords: Zawiya, Zawiya Sidi Ben Omar, alternative medicine, traditional medicine, wisdom, representations.

* المؤلف المُرسل: saradjelti49@gmail.com

مقدمة:

ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالأرض، ما يسمى بالطب التقليدي جاء نتيجة طبيعية لهذه العلاقة المتميزة، فهو عنصر من عناصرها وذلك من خلال استخدامه"لحكمة الأجداد"و تجاربهم في التعامل مع الأمراض والأوجاع ، فالعلاجات الشعبية هي ذلك المزيج الفريد من الخيرات المتوارثة والمعرفة المحلية كما أنها تشكل العمود الفقري للرعاية الصحية في العديد من المجتمعات .

وعليه فدراستنا ترتكز على الممارسات العلاجية التي يمكن ملاحظتها في في فضاء اجتماعي ذو رمزية دينية وشعائرية ألا وهو زاوية سيدي بن عمرتجدر الإشارة أنا الدراسات التي تتخذ من الزوايا موضوعا للبحث تعد من الدراسات الكلاسيكية في الأنثروبولوجيا الكفيلة بتوضيح وتفسير بعض المسائل التي تواجه الباحث في إنشغاله بمثل هذه المواضيع.

وفي ظلّ التحوّلات الإقتصاديّة، الفكريّة، المعرفيّة والسوسيوثقافيّة اليوم، كيف يتعامل الأفراد والجماعات مع وضعيات لم يجد لها الحل في الوقت الراهن، خاصة إذا كانت وضعية صحية حرجة؟

انطلاقا من بعض الدراسات السّابقة الّتي سّلطت الضوء على هذا الموضوع والّتي عرّجنا عليها من المنحى المنهجي لتوضّح بعض التقاربات النظريّة الميدانيّة وإعادة بناء طرح جديد نجد:

1- الصيدلة في الطب الشعبي بين النظري والتطبيقي من خلال المصادر والمراجع القديمة ل علي عمار:

هي عبارة عن دراسة متجسدة في أطروحة دكتوراه دولة تندرج ضمن تخصص الثقافة الشعبيّة، من أهم ما توصّل إليه الباحث في دراسته أنّ الطب الشعبي موجود منذ القدم وهو مرتبط بوجود الانسان على الأرض، أمّا الطب الحديث فهو مرتبط بالعلم، فقد ركّز على نشاطه وأسلوب تعامله مع الأمراض على الفيتامينات والمضادات الحيويّة إلخ...، عكس الطب الشعبي الّذي استطاع أن يكتشف أثر الأعشاب والنباتات الطبيّة على صحّته وكلّ هذا لم يحدث دفعة واحدة، بل هو حصيلة ملاحظات وتجارب طويلة.

إنّ هذه الدّراسة اعتمدت المنهج التاريخي، فقدمت لنا مجموعة مهمّة من الكتب والأبحاث القديمة سواء كانت في الطب الشعبي أو الحديث (علي، ع، 2006-2007).

2- علاج الأطفال بممارسات الطب الشعبي، بن فرحات فتيحة وخلايفية سلوى:

لقد أوضحت الدراسة أنّ الطب الشعبي لازال يضرب بجذوره في أعماق الثقافة الإنسانية ويواصل دوره في الحفاظ على صحة الانسان، إذ أصبح وجوده بارزا في مختلف المجتمعات وذلك راجع إلى ارتباطه الوثيق بثقافة هذه المجتمعات نحو مرض معيّن واعتمادهم في علاج هذا الأخير على مجموعة من الممارسات كالأعشاب والنباتات الطبيّة باعتبار الطبيعة ثريّة بكلّ ما ينفعهم ويفيدهم، وهي تعتبر أوّل صيدليّة عرفها التاريخ.

لذلك ترى الدراسة أنّ الطب الشعبي حاول أن يعالج مختلف الفئات العمريّة ومن أهمّ هذه الفئات، فئة الأطفال الّذين يعتبرون أكثر عرضة للإصابة بمختلف الأمراض (فتيحة، ب، وسلوى، خ، 2019، 191-202).

3- ممارسات الطب البديل في المجتمع الجزائري ل يمينة لطرش:

تهدف هذه الأطروحة للتعرّف على ظاهرة ممارسات الطب البديل القديمة والحديثة، حيث تربط بين عدّة ثقافات علاجيّة عربيّة، صينيّة، هنديّة، وغيرها...انتشرت في المجتمع الجزائري الّذي يتميّز بطب شعبي خاص به، لكن رغم هذا هناك إقبال على هذه الثقافات العلاجيّة الغريبة عنه، انتشرت من خلال مجموعة من البحوث الّتي أنجزت عل بعض الممارسات الشعبيّة وأعطت لها صبغة علميّة وكذلك من خلال حركة العولمة وتأثيراتها الثقافيّة.

ونتدرج هذه الأطروحة في مجال أنثروبولوجيا الصحة من حيث اهتمامها بالطرق والممارسات العلاجيّة في المجتمع وفهم الصحة في ظل السياق الثقافي والهدف منها معرفة حقيقة هذه الظاهرة، مصادرها ومجالاتها (يمينة، ل ، 2022/2021).

بالرجوع للمفاهيم الأساسيّة للدّراسة الّتي تساعد في التحليل الأنثروبولوجي، أخذنا بعض المفاهيم الأساسيّة الّتي نجدها في التنظيرات السوسيولوجيّةوالأنثروبولوجيّة ومن بينها:

- **تعريف الزاوية:**

يقصد بالزاوية الانزواء والانطواء والانعزال والبعد عن الحياة العامّة والأسواق(ابن منظور، 2000، 363).

وزوى الشيء أي نحّاه وتمكن منه ويقال انزوى القوم بعضهم إل بعض أي تدانوا وتضامنوا(ابن منظور، 2000، 364).

كما أن انزوى ينزوي يعني أتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبّد(إبراهيم، ح، 1996، 401).

فيما بعد تطوّرت الزوايا إلى أبنية صغيرة أغلبها بعيدة عن العمار في أماكن بعيدة ومهجورة ، فيقيم بها المسلمون ويمارسون الطقس الدينية من صلاة و ذكر(إبراهيم، حسن، نفس المرجع، 401) وقراءة القرآن ، كما يتعلمون فيها العلوم العقلية والعقلية . فيصفها عبد الحكيم عبد الغني قاسم على أنها مؤسسة تربوية صوفية وهي مكان لإقامة حلقات الذّكر(سلامة، ا، 2001، 128).

➢ **زاوية سيدي بن عمر:**

يرجع تأسيس هذه الزاوية على يد الشيخ سيدي داوود الّذي كان صوفيا وهو من ذريّة مولاي الادريس الأصغر مؤسّس مدينة فاس حيث نزل سيدي داوود بمنطقة الزاوية الّتي تقع بالشمال الغربي لولاية تلمسان وتبعد عن ندرومة مقرّ الدائرة بحوالي 13كلم، وعن مقر ولاية تلمسان ب 46كلم، وعن الغزوات ب 30كلم، يحدّها شمالا جبال التراة، ومرسى هنين وجنوبا جبال فلاوسن، أمّا شرقا فمدينة تلمسان، وغربا مدينة ندرومة، وكان الهدف الأساسي للشيخ داوود هو التعبّد وهناك أسّس بها عائلة سيدي بن عمر.

لقد كانت الزاوية قبل سنة 1027هـ/ 1618م تنتسب للطريقة القادريّة، أمّا بعد هذه السنة فأصبحت تنتسب إلى دار الضمانة الّتي يرأسها مولاي الطيّب ببلديّة وزان المغربيّة.

لقد حكم الزاوية العديد من الشيوخ من أبناء داوود وسيدي امحمّد بن عمر منذ تأسيسها إلى يومنا هذا، كما أصبح لها عدّة فروع منها فرع بوغرارة الّذي يتصرّف فيه الشيخ سيدي محمد عبد العزيز وفرع الرمشي الّذي يتصرّف فيه الشيخ سيدي أحمد.

يقصد الزيّار(يقصد بهم الوافدون إلى الزاوية من مرضى، متخاصمين، ممّن يطلبون البركة...) الزاوية لأسباب عديدة، من بينها العلاج الّذي يقدّمه الشيخ من أجل التشافي

من عرق النسا وأمراض أخرى(نبذة تاريخيّة مأخوذة من مخطوط بزاوية سيدي بن عمر.).

- **-الطبّ البديل:**

هو استخدام لجميع الطرق الطبيعيّة المتاحة والمتوفّرة في الطبيعة للوقاية والعلاج من الأمراض دون اللّجوء إلى استخدام الأدوية المصنّعة كيميائيا والمحضّرة معمليا، ولتجنّب آثارها السلبيّة على أعضاء جسم الإنسان، فهي سلاح ذو حدّين والطب البديل هو طب مكمّل ومتمّم للعلاج وموازي للعلاج الأصلي للمرض، وليس بديلا عنه في معظم الحالات، ولكن أدرجت تسمية الطب البديل على الطب التقليدي القديم بين النّاس(محمد السيد، أ،2008، 07).

- **الطب التقليدي:**

هو حصيلة المعارف والمهارات والممارسات القديمة والتي تعتمد على الخبرات المتأصلة في مختلف الثقافات ، كما أنه يستعمل في صيانة الصحة والوقاية من الإعتلال البدني والنفسي وتشخيصه وتخفيضه ومعالجته(استراتيجيّة منظمة الصحّة العالميّة، 2014-2023، 15.)، وهو بذلك عكس الطب الحديث الذي يعتمد على دراسة نظرية ومنهجية كما أنه مبني على الملاحظة والتحاليل والتجارب المخبريّة للوصول إلى نتائج دقيقة(P'.Laroche - 1985- p56) ، كما أنه يعتمد على ما يعرف بالطب الوقائي والطب العلاجي(La santé publique 1983 p 16).

- **الحكمة:** هي عبارة عن **السر** ونوع من الكرمات يرثها الشيخ عن أجداده المتصوفين ، أو معلميه حتى يتمكن من تطبيب المرضى .و يرى بعض المفكرين كبو ثمن أن هذه الطرق العلاجيّة ترجع إلى الطب القديم المتوارث من جيل إلى آخر ولا علاقة لها بالدين وليست من إبتداع المتصوفة)(15

- **التمثلات:**لهذا المفهوم مجموعة من التعاريف من بينها:

حسب **"سارج موسكوفيسي"**: مجموعة الأفكار المصادقة عليها المتداولة حول أوضاع معينة، وهذه الأفكار والآراء هي معرفة مشتركة أو تفكر طبيعي.

حسب **"إدغار مورين"**: التمثل هو وسيلة مختلفة ترى من طرف جماعة اجتماعية بالنسبة للآخرين.

فالتمثل الاجتماعي هو مجموعة الأفكار والتصورات والممارسات التي أنتجها الأفراد للتعبير عن مواقفهم، واتجاهاتهم نحو الظواهر والقضايا الإجتماعيةواللإقتصادية والسياسية.... المعاشة، وهذه التصورات نمطية أي محددة اتجاه شيء، وقد يشترك فيها الفرد مع غيره أو يختلف معهم فيها.

ما اسفرت عنه الدراسة:

يمثل الطب البديل ظاهرة عالمية ذات روابط تاريخية وثقافية عميقة، وخاصة داخل المجتمع المغاربي، وقد ارتبط هذا النوع من الطب بشكل دائم بالمعتقدات والتقاليد الشعبية التي توارثتها الأجيال.

لقد أوجدت المجتمعات فضاءات مساعدة لاحتواء الإشكالات التي فكر فيها الفرد والمجتمعات لتوسيع عملية التشافي التي كانت ملازمة لكل المجتمعات والثقافات في حضارات مترابطة ومتكاملة.

والزوايا تمثل إحدى الفضاءات المهمّة التي لعبت دورا محوريا في المجتمعات العربية الإسلامية، والمغاربية والجزائر جزء لا يتجزأ من هذه التشكيلة والتركيبة المعقدة.

ومنه يمكننا القول أن الممارسة الطبية متنوعة، حيث تتضمن مجموعة من الأساليب والمعارف والمعتقدات كإستخدام العلاجات القائمة على النباتات أو الحيوانات أو المعادن أو مزيج منها، إلى جانب مجموعة من العلاجات الروحية والتقنيات اليدوية، وتُستخدم هذه الأساليب إما بشكل فردي أو مجتمعة، بهدف الحفاظ على الصحة وتشخيص الأمراض وعلاجها.

تتميز الممارسات الطبية البديلة بتنوعها الهائل، والّذي يعكس التنوع الثقافي والتاريخي للمجتمعات البشرية، هذا التنوع ليس عشوائياً، بل هو نتيجة لتفاعل عوامل متعددة تشمل منها ما يعود إلى**الإعتقادات الدينية والفلسفية**، حيث ترتبط العديد من الممارسات الطبية البديلة ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية والفلسفية التي تسود في المجتمع، فمثلاً تستخدم العديد من الثقافات الأعشاب والتوابل في علاج الأمراض، معتقدة بوجود قوى روحية في هذه النباتات.

فنجد العديد من الممارسات الطبية البديلة:

- **العلاجبالأعشاب:**يعتبر من أقدم وأكثر الممارسات الطبية البديلة انتشارًا، وتختلف الأعشاب المستخدمة باختلاف الثقافات والمناطق الجغرافية.

- **الوخز بالإبر:**نشأ في الصين، ويهدف إلى تحقيق التوازن بين الطاقة الحيوية في الجسم.
- **العلاج بالطاقة:**يعتمد على مفهوم أن الجسم يمتلك طاقة حيوية، وأن أي خلل في هذه الطاقة يؤدي إلى المرض.
- **الحجامة:**تعتمدعلى سحب الدم من الجسم باستخدام أكواب خاصة.
- **العلاج بالصوت:**يستخدم ترددات صوتية معينة لعلاج الأمراض.
- **العلاج بالروائح العطرية:**يستخدم الزيوت العطرية لتحسين الصحة النفسية والجسدية.
- **الرقية الشرعية:**تعتمد على تلاوة آيات قرآنية وأذكار معينة لعلاج الأمراض الروحية والجسدية.

العلاقة بين الممارسات الطبية البديلة والثقافة:

رغم تغيير مكان العلاج الذي هو الزاوية الأصلية بالعين الكبيرة إلى مدينتي المرشي وبوغرارة إلا أنها لا تزال صامدة حيث أن الزيار يأتون من كل مكان من شرق الجزائر والوسط والغرب وحتى الجاية من خارج الوطن كما أن شيخ زاوية الرمشي يقوم بالإنتقال إلى خارج الوطن لتطبيب الناس وعلاجهم ويتم هذا العلاج من خلال الحكمة التي توارثها عن أجداده .

تختلف العلاجات في الزاوية فنجد مصطلح "النية "هو المصطلح المتداول فبمجرد الحضور إلى الزاوية أو زيارة الولي مثلا ولي سيدي سعد الله بالزاوية الكبيرة يشفى الزيار من الأسقام التي يعانون منها، كما أن الشيخ يمكنه علاج لسعة الأفعى والعقرب وذلك خلال 24ساعة الأولى من الحادثة لأنه محمي منها (مسقي) والعلاج يكون عن طريق الحكمة الممنوحة له .

كما يقوم الشيخ بعلاج عرق النسا وبعض الأمراض التي لها علاقة بالأمراض الروحية كالسحر والعين والحسد وذلك من خلال قراءة الحكمة على سلك نحاسي ووضعه في أذن المرض (من خلال إدخاله في موضع خارجي للأذن وهذا ما يسمى بالقرين) وبعد ذلك يطلب الحاجب من المريض أي يقوم بتدوير السلك وشم إصبعه لعدة مرات في اليوم، ويجب على المريض أن لا يتناول أي أدوية لها علاقة بعلاج المفاصل وأن لا يستحم المريض لمدة 15يوم وأن يكون على طهارة تامة وبهذا تثبت فعالية العلاج .

كما يمكن الشيخ أن يعالج بعض المشاكل الصحية عند الأطفال ما يسمى بالشحنةو أم الصبيان، فنجد أن الطفل ترتفع حرارته ويستمر بالبكاء بشكل كبير فيقوم الشيخ بالقراءة على رأسه وتشريبه ماء مقروء عليه فيتم العلاج بإذن الله وهذا ما شاهدناه من خلال بعض الحالات التي عالجها الشيخ أمامنا أو ما روي لنا من بعض المخبرين من زيار وعمال في الزاوية

كما رأينا أن الشيخ يقوم بعلاج حالات العقم وتأخر الإنجاب للرجال والنساء فهو يعالج مايسمى بالتابعة للمرأة التي تحمل ولكن تتعرض للإجهاض لعدة مرات وهناك حالات تنجب فيها المرأة ولكن تفقد مولودها أثناء الولادة أو لعدة شهور بعد الولادة فيعالج الشيخ المرأة وفي بعض الحالات الرجل لأنه في نظره يكون هو المتبوع ، وفي حالات أخرى يقوم الشيخ بالقراءة على حزام فتلبسه المرأة من أجل الحمل بشرط أن يكون الحمام خاصة بالمرأة ولا يكون لشخص آخر فإذا حدث الحمل تزور الحامل الشيخ كل ثلاثة أشهر من الحمل فيقوم بالقراءة على رأسها بهدف حمايتها وحماية الجنين ونفس الشيئ إذا كان الرجل هو المتبوع فيقرأ عليه ، وبعد الولادة تقوم الأم بإحضار المولود إلى الزاوية ويتم القراءة عليه ، كما يجب أن تخرج زيارة أو صدقة على المولود كل سنة في تاريخ الحمل (و هذا ما يسمى بزيارة المولود) .

لاتلعب الزاوية دور العلاج فقط بل لديها دور وقائي فنرى أن الزيار يأتون الزاوية الوقاية من العين والسحر قبل: الزواج، الإمتحانات وقبل البدأ بمشاريع مهمة بحياتهم .

كما نرى أن لها دورا إجتماعية من خلال التجمعات والإحتفالات التي تقوم بها كالإحتفال بالمولد النبوي الشريف، يقوم الشيخ أيضا بحل الصراعات والمشاكل بين المتخاصمين .

خاتمة:

مما سبق نستنتج بأن الطب البديل مازال له وزن في المجتمعات العربية والمغاربية والمجتمع الجزائري على وجه التحديد ، وأحسن مثال على ذلك زاوية سيدي بن عمر التي لا تزال صامدة أمام العديد من التيارات الثقافية المتضاربة ، فهي تعتبر خيارا فعالا الكثير من الوافدين على الزاوية فهي تعتبر بالنسبة لهم إرثا ثمينا يجب المحافظة عليه من خلال توثيقه ونقلها للأجيال القادمة كما أنه يمثل ميراث الأجداد وحكمتهم.

قائمة المراجع:

الكتب باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج 14، بيروت، لبنان، 2000
2. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الجزء الرابع، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996
3. نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي في إفريقيا في العهد الحفصي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، المنوبة، تونس، 2001
4. محمد السيد أرنؤوط، الطب البديل علاج لكلّ الأمراض، دار الأندلس الحديدة للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 2008
5. استراتيجية منظمة الصحة العالمية، الطب التقليدي (الشعبي)، 2014-2023

المقالات:

6. علي عمار، الصيدلة في الطب الشعبي بين النظري والتطبيقي من خلال المصادر والمراجع القديمة، أطروحة دكتوراه، الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2006-2007.
7. بن فرحات فتيحة وخلايفية سلوى، علاج الأطفال بممارسات الطب الشعبي –دراسة ميدانية ولاية تبسة-، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة لونيسي علي البليدة02، الجزائر، 2019، ص 191-202.
8. يمينة لطرش، ممارسات الطب البديل في المجتمع الجزائري –مقاربة أنثروبولوجية بقسنطينة-، دكتوراه، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيا، 2021-2022.

الكتب باللغة الأجنبية:

9. P'.Laroche la santé dans le tiers monde- ED- Coopérative de la vie mutualiste- Paris. 1985
10. La santé publique- visage de L'Algérie- ministère de l'information de laR.A.D.P-Alger- 1983-